2021

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من عبق التاريخ

صار البكاء رفيقه في ليله ونهاره

قصة أمية الكِناني

إعداد

أبو الحسن الحنَّاوى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمـــة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

أمَّا بعد .. أيها الأخوة والأخوات الفضلاء والفضليات

أهلاً بكم ومرحباً مع هذه الواقعة الحقيقية ، العاطرة الذكر والتي كانت في زمن خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الخليفة العادل وصاحب سيدنا رسول الله ﷺ ، وهو أشهر من أنْ يُعَرّف ، وهو القدوة الحسنة ، والمثال الأظهر للقوة في الحق ، وشدة نور البصيرة ، فكان نموذجاً نادراً ، وأسوة حسنة بعد رسول الله ﷺ وصاحبه سيدنا ابي بكر رضى الله عنه وأرضاه.

والحق أيها الأخوة والأخوات أنَّ القصة رُغم أنها مؤثرة جداً ، والحديث عنها له شجون ، ويبعث على الإنتحاب ، إلا انها احتوت على عِبر ودروس مفيدة وعديدة ، لذا أسأل الله أن ينفعنا بها ، وأن يأجر كل من يتفضل بإعادة نشرها عظيم الأجر ، وبالغ الثواب .. اللهم آمين.

أخوكم في الله /

أبوالحسن الحناوى

فتوة الشباب

كان لأمية الكناني ولدٌ اسمُه كِلاب ..

وكان شاباً صالحاً ..

وحين سمع أنَّ الجهادَ أفضلُ الأعمالِ في الإسلام وذروةُ سَنَـامِه ، ذهب إلى عمربن الخطاب رضي الله عنه ،

وقال له : أرسلني إلى الجهاد ..

قال عمر : أحي والداك ؟

قال : نعم !

قال : فاستأذِنْهُما ..

فاستأذَنْهُما كِلاب ، وبعد إلحاحٍ شديدٍ ، وافقا على مَضضٍ ، فقد كان وحيدهما وكان شديد البِّر بِهما ، يُؤنسهما ويساعدهما في كل شؤونهما.

شـدةُ الشّوق لِفَلذةِ كَبِدهِ

ذهب كلاب إلى الجهاد ، ومرت الأيام على الأبوين بطيئة ثقيلة ، وما لبِث أن اشتد الشوق بالوالد ..

فصارَ البُكاءُ رفيقَهُ في لَيلهِ ونَهارِه !!

وذات يومٍ جلسَ أميةُ تحتَ شجرةٍ ، فرأى حَمامةً تُطعم فِراخَها فجَعَل ينْظرُ ، وينشد :

لمن شيخان قد نشدا كلابا ... كتابَ الله لو عقلا الكتابا

تركتَ أبـاكَ مُرَعشة يداهُ ... وأمُّك لا تسـيغُ لها شرابا

طويلاً شوقُه يَبكيكَ فرداً ... على حُزنٍ ولا يرجوا الإيابا

إذا هَتَـفَتْ حمامةٌ إلتياعاً ... على بَيْضَـاتِها ذَكَرا كلابا

ثمَّ اشتدَّ حُزْنُ أمية على ولده كلاب ، وطال بكاؤه حتى أصابه ما أصابَ يعقوبَ عليه السلام ، فابيضت عيناه من الحزن ، وفقد بصره ، وصار لا يفتُر عن ذِكر ولَدِهِ .. من شدة ما في قلبه من إلتياعٍ (لوعة) وحرقةِ الفِراق.

هِجاؤهُ أميرَ المؤمنين

ثم أخذ يدعو على عمر بن الخطاب رضي الله عنه !

ويقولُ شعراً :

أعاذلُ قد عَذَلْتَ بغيرِ علمٍ [1] ... وما تدرى أعاذلُ (يا لائمي) ما ألاقي

إنَّ الفاروقَ لم يَرْدُدْ كلابا ... على شيخين سامهما فِرَاقِ

سأستَعْدى على الفاروقِ رباً ... لهُ دَفْعُ الحجيج إلى بساقِ

وادعو اللهَ مجتـهداً علـيه ... ببطنِ الأخشبينِ إلى زُقـاقِ

فما كان من أحدِ أصّحابةِ إلا أخذَ بيده حتى أقبلَ به على حِلقَةِ عمر بن الخطاب وأجلسه فيها ، وهو لا يدرى !

ثم قال له صاحبِه : يا أبا كلاب ، أنشدنا من أشعارك !

ولشدةِ تَعَلّقِهِ بولدِه ، فإنَّ أولَ ما تبادر إلى ذهنه قصيدته عن هجاء عمر:

إنَّ الفاروقَ لم يَرْدُدْ كلابا ... على شيخين سامهما فِرَاقِ

[1] يَا لاَئِمِي .. قد لُمْتني بغيرِ علمٍ

استيضاح أميرَ المؤمنين للأمر

فقال عمر رضي الله عنه : من هذا ؟

قالوا : هذا أميه بن الأسكر الكِنَانِي

قال عمر : فما خبره ؟

قالوا : أرسلتَ ولدَه إلى الثُغُورِ !!

قال: ألم يأذن (أبوه) ؟

قالوا : أَذِنَ على مَضَضٍ !!

فَوجَّهَ عمرُ رضي الله عنه من فوره أن ابعثوا إلى كلابٍ بن أمية الكناني على وجه السرعة !!

بِرُّ كلابٍ بأبـيه

فلما مَثُلَ كلاب بين يدي عُمر رضي الله عنه ، قال له : اجلس يا كلاب،

فلما جلس قال له عمر : ما بلغَ من بِرِك بأبيك يا كلاب ؟

قال : والله يا أميرَ المؤمنين ، ما أعلمُ شيئا يُحبُّه أبي إلا فعلْتُه قبلَ أن يطلُبه مني ، ولا أعلمُ شيئاً يُبْغِضه أبي إلا تركتُه قبل أن ينهاني عنه !!

قال عمر رضي الله عنه : زدني !!

قال : يا أمير المؤمنين والله إني لا آلوه جَهْدي بِرّاً وإحْسَاناً ..

قال عُمر : زدني !!

قال كلاب : كنتُ إذا أردتُ أن أحْلبَ له آتي من الليلِ إلى أغْزَرِ ناقةٍ في الإبل ، ثم أنِيخُها وأعْقِلها حتى لا تتحرك طوال الليل ..

ثم استيقظ قُبيل الفجْر فاستخرجُ من البئرِ ماءً بارداً ، فاغسلُ ضِرْعَ الناقةِ حتى يَبْرُدَ اللّبن .. ثم احلبُه وأعطيه أبي ليشرب !!

قال عمر :

عجباً لك ، كل هذا لأجل شربةِ لبنٍ !

فقال عمر : فافعل لي كما كنت تفعل لأبيك !!

قال كلاب : ولكني أودُّ الذهابَ إلى أهلي يا أميرَ المؤمنين !!

قال عمر : عزمتُ عليك يا كلاب !!

فمضى كلاب إلى الناقةِ فحَلبَ وفعلَ كما كان يفعلُ لأبيه ، ثم أعطى الإناءَ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه !!

مفاجأة المفاجآت

قال عمر لمن حوله : خذوا كلاب فادخلوه في هذه الغرفة وأغلقوا عليه الباب !!

ثم أرسل عمرُ إلى الشيخِ ليَحضُر !!

فاقبل يُقادُ ، لا يعلم ما يُراد به !!

فإذا بشيخٍ واهنٍ ، قد عَظُمَ همُّه واشتدَّ بُكاؤه وطالَ شوقُه ، يَجُرُّ خُطاهُ جَراً ، حتى وقف على رأس أمير المؤمنين !!

فسأله الفاروقُ : يا أمية ماذا بقىَ من لذّاتِك في الدنيا ؟

قال : ما بقىَ لي منْ لذةٍ يا أمير المؤمنين !

قال عمرُ : فما تشتهى ؟

قال أمَية : اشتهي الموت !

قال عمر : أقسمتُ عليك يا أمية ، إلا أخبرْتني بأعظمِ لذةٍ تتمنَّاها الآن. قال أمية : أما وقد أقسمتَ عليَّ ، فإني أتمنى لو أنَّ ولدى كلاباً بين يديَّ الآن أضُمُّه واشمُّه وأقبِّله قبْل أن أموت !!

قال عمر : فخذْ هذا اللبن لتتقوى به !!

قال أمية : لا حاجةَ لي بِه يا أمير المؤمنين !!

قال عمر : أقسمتُ عليك يا أمية إلا شَرِبْتَ من هذا اللبن.

حميمية اللقــاء

فلما أخذ الإناء وقربه من فمه ، بكى بكاءً شديداً ، وقال : والله إني لأشم رائحة يدي ولدى كلاب في هذا اللبن !

فبكى عمر رضي الله عنه حتى جعل ينتفض من بكائه !!

ثم قال : افتحوا الباب !!

فاقبل الولد إلى أبيه .. فضمَّهُ أبوه ضمَّة شديدةً طويلةً ، وجَعل يُقبِّله تارةً ويشمُّه تارة !!

نصيحة أمير المؤمنين

وجعل عمر رضي الله عنه يبكي ، ثم قال :

إن كنت يا كلاب تريد الجنة ، فتحت قدمَي هذا !!

الدروس المستفادة

القصة التي بين يدينا حقيقية وقعت بالفعل وليست من نسج الخيال ، وبها دروس وعبر على العاقل أن يتأملها ويستخلصها ليستفيد منها.

الدرس 1

للشباب فتوة ، ونشاط ومن سماتهم الإندفاع وبحسن نية بغية الإنجاز السريع مع تحقيق أكبر قدر من الهدف ..

وذلك سلوك لو تم ترشيده وتوجيهه التوجيه الصحيح لانتفع المجتمع من هذه الطاقات الجبارة التي لو تُركت لضاعت هباءاً أو أضرَّت.

الدرس 2

أحياناً يضعف أحد الآباء أو كلاهما أمام إلحاح ورغبة الأبناء ، فتكون موافقتهم ونزولهم على رغبة الأبناء ، مصدراً لمعاناة لا طاقة لهما بها بل وربما يتضرران منه.

الدرس 3

أحاسيس ومشاعرالأبوة والأمومة من عاطفة وحب وحنان لأبنائهم لا يقدرها الأبناء قدرها الصحيح وبعضهم لا تُشكّل بالنسبة له أى شيئ.

الدرس 4

الصحبة الطيبة دائما ما تكون عوناً لمكلومٍ أو مصابٍ أو حائرٍ أو مهمومٍ ويتضح ذلك في إحضار أحد الصحابة للوالد المتضرر الى مجلس أمير المؤمنين بغية مساعدته وحل مشكلته.

الدرس 5

على كل من تأمَّرعلى جماعة ومن اضطّلع بمسؤلية قوم ليسوس أمورهم أن يتعامل معهم على أنهم في حاجة الى رجاحة عقله وفطنته وكياسة رأيه ، فيحل لهم مشاكهم بالرحمة والرأفة ويسعي للوقوف على عقدة المسألة ويقوم بحلّها ، وليس باعتبارهم ارثاً أو ملكاً له ، فيتبع ذلك الكِبر والقهر والظلم وتعقيد الأمور وتجاهل حقوق الرعية وتضييعها.

الدرس 6

لايحمل التطاول بغير حقٍ على حاكمٍ أو مسؤلٍ الإنتقام ممن صدر منه التعدى ، بل استقصاء الأمور والتثبت وهو الأصح ، وإنما الصفح والعفو من صفات المؤمنين وشِيَمِ الكرماء.

الدرس 7

مفهوم برالوالدين الشائع هذا العصر وفي أيامنا هذه لا يُساوى شيئاً إذا ما قارنَّاه ببر كلاب لأبيه وأمه ، لذا لابد من تصحيح هذاالمفهوم الذى اندرست معالمه مع الزمان ولم يبقى إلا ظله ، إن وُجد اصلاً.

الدرس 8

مبدأ الرجوع عن القرار للصالح العام ، لابد أن يطبق في كل الأحوال فلا شيئ مقدس إلا ماكان من الله سبحانه وتعالى .. القائل: ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ سورة ق ٢٩، وذلك لأنه هو الله العليم والحكيم ، ولكن البشر عليهم أن يذعنوا للحق وأن يعدلوا عن بعض القرارات لتحقيق المصلحة العامة ودفع الضرر عن الناس.

الدرس 9

رائع أن يكون الساسة والزعماء أصحاب قلوبٍ رقيقة ويتمتعون بأحاسيس رهيفة ، فهم بتلك الصفات الحميدة يكونوا عظماء ، أمّا إن طغت نفوسهم وتغطرست ، وساءت طبائعهم ، وماتت ضمائرهم ، وتبلدت احاسيسهم ، فهؤلاء الأقذام ، وهم من أراذل الناس وبالتالى لا يصلحون للحكم أو الامارة ، وسوف يُسألون ويحاسبون من قِبَلِ الله العزيز العليم ، الحسيب الجليل ، الجبّار القهّار، الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

الدرس الهام والرئيس للجميع ، شباب وكبار ، ذكور وإناث ، هو أن التقرب الى الله عزوجل بالعبادات والنوافل ، تتفاوت في أفضلياتها ، ولكن أولوياتها تعتمد على الشخص نفسه وحسب ظروفه الإجتماعية وإمكاناته المادية واستعداداته الجسدية ومسؤلياته التى تقع على عاتقه.

أمثلة توضيحية:

- في هذه القصة لم يعلم كلاب أن في حقه البقاءُ في خدمة والديه أولى من الجهاد في سبيل الله.
- بعض الشباب ينبهرون بفكرة الخروج في سبيل الله للدعوة في حين أنهم لا يتمتعون بصفات وخصائص الدعاة من اتقان قراءة القرآن وحفظ شيئاً منه ، وغير مُلمّين بأسس الاحكام الفقهية البسيطة ، ولا يعرفون الكثير ليقدموه للآخرين .. ففي حق هؤلاء أولا إعداد انفسهم وتعلم أساسيات العلم الشرعي قبل الخروج للدعوة ليتمكنوا من إمامة الناس والرد على الأسئلة التي تطرح عليهم .. وهكذا.
- بعض الناس يريد الذهاب الى بلد ما للجهاد هناك نصرة لدين الله ، ولكنه غير متدرب على على فنون القتال ، ولم يجيد لغة القوم الذين يجاهدون هناك ، وربما يعول أسرة كبيرة ليس لهم عائل الا هو، ففي حق هذا ان يبقي ليعول أسرته.

أخيراً أيها الاخوة والأخوات ..

هذه هي القصص التي يجب تداولها بين المسلمين ، لأخذ العبرة فيما سارعليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم غفر الله لنا ولكم ولوالدينا ووالديكم وللمسلمين والمسلمات.

وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وإلى هنا نكون بلغنا المراد من هذا العمل الطيب الذى ، أسأل الله الكريم الجوّاد، أن يمنّ عليَّ بفضله وكرمه فيتقبله مني صدقة جارية بعد مماتي ، وأن يكتب لوالدىَّ مثل أجرى بِرّاً منّي بهما وإحساناً إليهما .. اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

إعداد وتصميم /

أبوالحسن بن سعد الحناوى

فيينا قي 11 من مارس 2021